

الحروف العربية بين الائتلاف و التنافر في بناء الكلمة - دراسة صوتية -

Arabic Letters Between The Coalition And Dissonance In Building The Word - Voice Study

الدكتورة: ولهاسي نجيدة

nadjida.oulhaci@yahoo.fr

جامعة سيدي بلعباس - الجزائر

تاريخ النشر: 2019/12/31

تاريخ القبول: 2019/12/22

تاريخ الإرسال: 2019/12/10

ملخص :

يرتبط توزيع الأصوات داخل الكلمة الواحدة بانسجام هذه الأصوات و تألفها، بمقتضى مقاييس هذا الانسجام في أذهان أبناء الجماعة اللغوية، و لعل من أهم المقاييس التي عني بها علماء العربية المتقدمون تلك التي تتعلق بالأصوات من حيث المخارج، لكنهم مروا بهذا البحث مروراً سريعاً لم يفصلوا فيه، فيقطعوا برأي يعول عليه في بناء الكلمة العربية، وهم سواء في ذلك من تعرض له في مقدمات المعاجم، كصنيع الخليل، وابن دريد... أو من درس الحروف العربية في تضاعيف كتبه كما فعل ابن جني خاصة.. أو ما فسر به علماء البلاغة فصاحة الكلمة . والملاحظة أنهم توصلوا إلى نتيجة مفادها أن توزيع الأصوات داخل الكلمة، إنما يكون على أحسن أحوال الانسجام إذا كانت مواضع نطقها متباعدة .

فهل هذه النتيجة المتوصل إليها يمكن اعتمادها كقانون مطرد يصلح لتفسير ظاهرة ائتلاف الحروف أو تنافرها في بناء الكلمة العربية؟، أم هناك ضوابط أخرى يمكن الاحتكام إليها في هذا التأليف ؟ .

الكلمات المفتاحية : ائتلاف الحروف - تنافر الحروف - توزيع الأصوات - الكلمة العربية - تقارب المخارج - تباعد المخارج .

Abstract : The distribution of sounds within a word is related to the harmony of these voices and their concinnity, according to the standards of this harmony in the minds of members of the linguistic community. Perhaps one of the most important criteria that was a matter of concern of former Arabic Linguists consisted of output sounds , but they quickly went through this research without setting a reliable opinion in the construction of the Arabic word. they all limited themselves to introducing dictionaries, such as Alkhaleel and Ibn Duraid works... Or those who have studied Arabic letters by as did Ibn Jennee in particular ... Or what rhetorical scientists had set about the eloquence of the word. It should be noted that they all agreed that the distribution of sounds within the same word can be better harmonised if the pronunciation positions are distanced.

Can this result be adopted as a constant law to explain the characters combination phenomenon or their repulsion in the construction of the Arabic word? Or are there any other controls to be invoked in this field ?

Key words: Harmony of letters - repulsion of letters - distribution of sounds - Arabic word - closeness of sound inputs – Detachment of sound inputs.

لقد لاحظ اللغويون منذ القدم عند النظر في تأليف الكلمة العربية من أصولها الثلاثة (الفاء، والعين، واللام) أن هذه الأصول يجري تأليفها حسب أساس ذوقي، وعضوي خاص يتصل بتجاور مخارج الصوامت الأصول التي تتألف

منها الكلمة، أو تباعدها بالنسبة إلى أماكنها في الجهاز النطقي¹، وعلى الرغم من أنه لا يوجد قانون مطرد يصلح لظاهرة ائتلاف الحروف أو تنافرها، إلا أن اللغويين الأوائل كانوا يتذوقون كلام العرب، فيحسون بتنافر أصوات الكلمة، فيعززون ذلك إلى تقارب مخارج حروفها، فقد كان الخليل دقيق الإحساس بجمال النغم، و اتساق الحروف و كان يحس بهجة الألفاظ، و شناعة الكلمات إذا وصل إلى سمعه ثقل لم يستسغه، و لم يألفه فيما استمع من فصحاء العرب فقد روي عنه أنه قال : " سمعنا كلمة شنعاء و هي العهخع " ومن ثم نشأت فكرة استحسان الكلمة المؤلفة من حروف متباعدة المخارج، واستقباح الكلمة المؤلفة من حروف متقاربة المخارج .

و الذي ينبغي أن نبه عليه أن مخارج الأصوات و ترتيبها لم تكن موضع اتفاق مطلق بين القدماء و المحدثين، بل عند القدماء أنفسهم ؛ فالناظر في منهج الخليل و سيبويه يجد شيئاً من الخلاف بينهما في ترتيب بعض الأصوات الحلقية، كالمهزة و الهاء²، و في أصوات الصغير (ص، س، ز) و غير ذلك ... أما الدراسات الصوتية الحديثة فجعلها يتفق - مثلاً - على أن المهزة و الهاء من الأصوات الحنجرية، و العين و الحاء و الغين و الخاء من الأصوات الحلقية، أو أن الغين و الخاء من الأصوات الطبقية أو اللهوية ...، و لكن هذا الاختلاف لم يحل دون توصل القدماء إلى نتائج مقبولة في تأليف صوامت البنية بالرغم من اعتمادهم في تحديد مخارج الأصوات و صفاتها على جهدهم الذاتي، و عدم توافرهم على الوسائل الحديثة .

فالخليل بن أحمد (ت 175هـ) قد عرض في مقدمة معجمه لمخارج الحروف، وصفاتها، و ذكر أنواعاً مختلفة من الصوامت التي لا تجتمع في كلمة لتقارب مخرجها فذكر في باب (العين و الحاء) مثلاً: " لا تأتلف منها كلمة واحدة مستعملة لتقارب مخرجها إلا في باب النحت³ "، وقوله: " إن العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مخرجيهما"⁴، ويقول في موضع آخر: لولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين⁵ ويقول أيضاً " فإن العين مع هذه الحروف الغين و الهاء، و الحاء، و الخاء مهملات"⁶.

ويؤخذ من هذه النصوص أن الصوامت الحلقية تكاد لا تجتمع في كلمة واحدة، وذلك لقرب مخرجها، مما يسبب جهداً عضلياً كبيراً في أثناء النطق بها.

كما تعرض الخليل إلى ما يأتلف و ما لا يأتلف من الأصوات الأخرى مستدلاً بذلك على اللفظ العربي الأصيل، و مفرقاً بينه و بين اللفظ الدخيل ؛ كما إذ اجتمع فيه فاء و غين، أو قاف و كاف، أو قاف و جيم، إلى غير ذلك مما كان يرى أنه ليس من طبيعة لغتهم⁷.

وابن دريد (321هـ) هو الآخر نبه في معجمه على أهمية الحروف، لمعرفة عدد الأبنية، و ما يأتلف منها و ما لا يأتلف، و بيان علة امتناع ما امتنع من الائتلاف⁸، وأوضح أن " الحروف إذا تقاربت مخرجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت"⁹، فالقاف و الكاف لا تألف منها كلمة واحدة فلا يقال (قك) ولا تنقل (قك)¹⁰

وتجدر الإشارة إلى أن ابن جني (392هـ) عني كثيراً بمسألة ائتلاف الحروف خاصة في كتابه " سر صناعة الإعراب "، فقد ذكرها في مواضع متعددة وبألفاظ مختلفة¹¹ كالتركب و المجاورة¹² و التأليف، و الاجتماع¹³، و المزج و التألف¹⁴.

فمما ذكره "وأحسن التأليف ما بُوعِد فيه بين الحروف، فمتى تجاوز مخرجاً الحرفين فالقياس ألاّ يأتلفا"¹⁵ وكذلك قوله في كتابه "الخصائص" في معرض حديثه عن الكلمات المهملة في اللغة العربية حيث قال: "أما إهمال ما أهمل مما تحتمله قسمة التركيب في بعض الأصول المتصوّرة أو المستعملة، فأكثره متروك للاستثقال، وبقية ملحقة به، ومقفاة على إثره، فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه نحو: صص، و صس، وظث، و ظث، وضش، وشض، وهذا حديث واضح لنفور الحسن عنه، والمشقة على النفس لتكلفه، وكذلك نحو: قج، وجق، وكق، وقك، وكج، وجك، كذلك حروف الحلق هي من الائتلاف أبعد، لتقارب مخارجها عن معظم الحروف".¹⁶ و يقصد بـ "معظم الحروف" حروف الفم و هذا المصطلح يشمل الصوامت كلها ماعدا الحلقية .

الملاحظ من الأمثلة التي أوردها ابن جني، أنّ صوامتها متقاربة المخارج ممّا سبّب ثقلاً كبيراً في النطق بها، والأحسن عنده اعتماد المخرج البعيد، ليختلف الصديان فيعذباً بترائيهما¹⁷ على حدّ قوله. وقد انتهى ابن جني إلى أن تأليف الحروف على ثلاثة أضرب هي¹⁸:

1. تأليف الحروف المتباعدة مخرجاً وهو الأحسن، ولأحظ أنّ أقل الحروف تألفاً بالفصل حروف الحلق، وحروف أقصى اللسان (ق،ك،ج).

2. تضعيف الحرف نفسه تخفياً لما فيه من ثقل، ويلى الضرب الأول نحو: مأجج (اسم مكان)، وسكك (جمع سكة)، ومجّ (لفظ، ورمي)، وفرس أمقّ (صفة للفرس الطويل).

3. تأليف الحروف المتجاورة، وهو دون الاثنين الأولين، وهو إما يرفض وإما يقل استعماله.

ولم يتوقف ابن جني عند هذا الحدّ بل راح يشرح إمكانية ورود بعض الحروف المتقاربة المخارج في التأليف، ومع أنه أكد على صعوبة اجتماع حروف الحلق من دون فصل – إذ اجتماع هذه الحروف مع الفصل بينها أمر وارد في اللغة العربية مثل هذات وخبأت – إلاّ إنه لم ينف أن ترد مجتمعة في بعض الحالات دون فاصل بينها، وهنا نجد يستدرك قائلاً: "أما إذا لم يكن بينها حرف فينبغي الانتباه إلى ترتيب وجودها"¹⁹، ويواصل شرح فكرته بأن الهمزة إذا تقدمت حروف الحلق نحو: أهل، وأحد، وأخذ ساغ التركيب، أما العكس فلا يجوز إلّا في حالات منها الحكاية والتكرار، نحو هاهأ (دعاء للئيس)، حأأ (دعاء للإبل)، ويشترط لائتلاف الهاء مع العين بغير فصل أن تتقدم العين نحو: عهد، عهر، على حين أن ائتلاف العين مع الخاء لا يكون إلّا بتقدم الخاء مثل: بخع، نخع²⁰، وحتى مع ورود هذه الكلمات نحس بثقل على اللسان في حال التفوّه بها.

و بهذا يكون ابن جني قد فسر في وضوح لغوي عجيب قوة العربية، وخفة طبعها في اختيار تركيب الكلمات من حروف متباعدة، فإن كان ولا بدّ من التأليف من الحروف المتقاربة المخارج فلا بدّ من تقديم الأقوى على الأضعف، وبهذا يكون قد برهن على فلسفته اللغوية الفائقة²¹ ففي حديثه عن حروف الحلق، وعدم إمكانية التأليف فيما بينها يقول: "فإن جمع بين اثنين منها قدّم الأقوى على الأضعف، نحو: أهل، وأحد، أو أخ، وعهد، وعهر"²² وهذا الحكم لا يقتصر على الحروف الحلقية فحسب، بل ينسحب كذلك على حروف الفم يتضح هذا من قوله: "وكذلك متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما إلّا بتقديم الأقوى منهما: نحو، أرل²³ ووؤد، ووؤد، يدل على أنّ الرّاء أقوى من اللّام أن القطع عليها أقوى من القطع على اللّام، وكأنّ ضعف اللّام إنّما أتاها لما تشربه

من الغنة عند الوقوف عليها، ولذلك لاتكاد تعتاص اللام، وقد ترى إلى كثرة اللُّغة في الرّاء في الكلام، وكذلك الطاء والتاء : هما أقوى من الدال، وذاك لأن جرس الصوت بالتاء، والطاء عند الوقوف عليهما أقوى منه، وأظهر عند الوقوف على الدال²⁴. و في موضع آخر نجده يفسر قوة هذين الحرفين بقوله : " و يدلّك على قوة الرّاء و التاء على اللام و الدال أنك إذا ذقتهما ساكنتين، ووقفت عليهما وجدت الصوت ينقطع عند التاء بجرس قوي، ووجدته ينقطع عند الدال بجرس خفي، و ذلك قولك " إئ " إذ " وكذلك الرّاء و اللام فإذا وقفت على الرّاء وجدت الصوت هناك مكررا... و إذا وقفت على اللام وجدت في الصوت لنا و غنة .."²⁵

وحاول ابن جني أن يعلل تقديم الصامت الأقوى و فسر تفسيراً صوتياً دقيقاً بقوله وأنا أرى أنّهم إنما يقدمون الأقوى من المتقاربين، ويؤخرون الأخف من قبل أنّ المتكلم في أوّل نطقه أقوى نفساً، وأظهر نشاطاً، فقدم أثقل الحرفين، وهو على أجمل الحالين²⁶.

وقد مضى رجال البلاغة بعد ذلك يستمدون من اللغويين معيارهم بتذوق الكلمة، و قد اعتمدوا علة تباعد الحروف لتكون سبباً رئيساً في إهمال ما أهمل من أصول ؛ فتراهم قد ربطوا بين المستعمل من الألفاظ و بين الفصاحة؛ فالفصيح " هو المألوف الاستعمال، و إنما كان مألوف الاستعمال لحسنه، و حسنه يدرك بالسمع لأنه أمر عائد إلى تركيب حروفه و خفتها و تباعد مخارجها .."²⁷

فابن سنان الخفاجي (ت466هـ) مثلاً نقل تقسيم تأليف الحروف عن ابن جني السابق الذكر، وكرّره و الأحسن المختار عنده هو تأليف الحروف المتباعدة المخارج ؛ و لهذا جعل تباعد أصوات اللفظ أحد شروط فصاحة اللفظ معللاً ذلك بأن "الحروف التي هي أصوات تجري من السمع مجرى الألوان من البصر و لاشك في أن الألوان المتباينة إذا جمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة ؛ و لهذا كان البياض مع السواد أحسن منه مع الصفرة ؛ لقرب ما بينه و بين الأصفر، و بعد ما بينه و بين الأسود .."²⁸.

وزيادةً على ذلك ردّ رأي الرّماني (384هـ) الذي نسب إلى الخليل تعليل التنافر بالبعد الشديد، أو القرب الشديد، لأنّ الكلام إذا قربت حروفه قريباً شديداً كان ذلك بمنزلة مشي المقيد ؛ لأنه بمنزلة رفع اللسان وردّه إلى مكانه، وإذا بعدت بعداً شديداً كان بمنزلة الطفر، وفي الحالين كليهما صعوبة على اللسان²⁹، على حد قول الرّماني.

والواقع أن رأي الرّماني هذا لا أساس له، وقد رده محمد كريمة الكواز قائلاً: " أننا لم نجد للخليل مانسبه إليه الرّماني، في ماتيسّر لنا من المصادر، بل وجدنا الخليل يعزو التنافر إلى تقارب المخارج في أكثر من موضع، أضف إلى ذلك أن البعد الشديد لا يشكل علة في التنافر، فلو عمدنا إلى ملاحظة الحروف المتباعدة على طريقي المدرج الصوتي، لرأيناها تأتلف كثيراً نحو: أبد، أفق، أمر، هب، هفا، همز³⁰.

هذا ما أكده ابن سنان سابقاً، في قوله: " ولا أرى التنافر في بعد ما بين مخارج الحروف، وإنّما هو في القرب"³¹.

أما ابن منظور ت (711هـ) فقد قدّم أحوالاً لتنافر بعض الصوامت في أثناء حديثه عن خصائص بعضها، فذكر أنّ " منها ما لا يترّك بعضه مع بعض، إذا اجتمع في كلمة إلاّ أن يقدّم، ولا يجتمع إذا تأخر

وهو (ع ه) فإن العين إذا تقدمت تركّبت، وإذا تأخرت لا تتركّب، ومنها ما لا يتركّب إذا تقدّم، ويتركّب إذا تأخر وهو (ضج) فإنّ الضاد إذا تقدمت تركّبت، وإذا تأخرت لا تتركّب في أصل العربية، ومنها مالا يتركّب بعضه مع بعض لا إن تقدّم ولا إن تأخّر، وهو: س ث ض ز ظ ص، فاعلم ذلك³².

فالمجموعة الأخيرة، مكونة من صوامت أسنانية وأسنانة لثوية لا تتوالى في كلمة واحدة لثقلها في أثناء النطق بها، وعدم ائلافها عند اجتماعها راجع لقرب مخرجها، وما نستنتجه من كلام ابن منظور أنّ تقارب مخارج الصوامت التي تتألف منها الكلمة العربية مستكره، ويكاد أن يكون نادرا³³.

و لقد ربط المتأخرون من البلاغيين بين حسن التأليف و مخارج الحروف فرأى بهاء الدين السبكي³⁴ (73هـ) في " عروس الأفراح" و نقل عنه السيوطي (911هـ) في " المزهر" أن رتب الفصاحة متفاوتة و أن الكلمة تخف و تثقل من حرف إلى حرف لا يلائمه قربا أو بعدا، ثم قسم مخارج الحروف العربية إلى ثلاث مجموعات أنشأ بينها احتمالات للتأليف، و أخذ البناء الثلاثي – وهو أكثر أبنية الكلام العربي – مثالا على ما استنتجه من رتب تجري على هذا النحو:

1. الانحدار من المخرج الأعلى إلى الأوسط إلى الأدنى، نحو: " ع د ب".

2. الانتقال من الأعلى إلى الأدنى إلى الأوسط، نحو "ع م د".

3. الانتقال من الأعلى إلى الأدنى إلى الأعلى، نحو "ع م ه".

4. الانتقال من الأعلى إلى الأوسط إلى الأعلى، نحو "ع ل ه".

5. الانتقال من الأدنى إلى الأوسط إلى الأعلى، نحو "م ل ع".

6. الانتقال من الأدنى إلى الأعلى إلى الأوسط، نحو "ب ع د".

7. الانتقال من الأدنى إلى الأعلى إلى الأدنى، نحو "ف ع م".

8. الانتقال من الأدنى الأوسط إلى الأدنى، نحو "ف د م".

9. الانتقال من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى، نحو "د ع م".

10. الانتقال من الأوسط إلى الأدنى إلى الأعلى، نحو "د م ع".

11. الانتقال من الأوسط إلى الأعلى إلى الأوسط، نحو "ن ع ل".

12. الانتقال من الأوسط إلى الأدنى إلى الأوسط، نحو "ن م ل".

ويرى السبكي أنّ أحسن هذه التراكيب المخرجة هو الأول، ثم العاشر، ثم الثاني، وأن التاسع والخامس سيّان في الاستعمال، وإن كان القياس – كما يقول – يقتضي أن يكون التاسع أرجحهما، وأنّ أقل الجميع استعمالا هو السادس .

لكن هناك بعض الأصول جاءت على صورة أقل التراكيب استعمالا و أبعدها عن الفصاحة –حسب ما ذهب إليه الخفاجي – و مع ذلك فهي مقبولة و ليس هناك ما يعيبها مثل : بعد، و حفر، و فعل ...و غيرها .

وكان من حسن حظ هذه الجهود التي لم يكن يستطيع إثباتهما علميا أن الإحصاءات الصوتية الحاسوبية لجذور المعاجم العربية الكبرى وهي الصحاح، واللسان، والتاج أثبتت معظم ما ورد آنفا مع اختلاف الوسائل المستعملة بين القديم والحديث³⁵.

فقد أبرزت هذه الإحصاءات ميل الحروف المتقاربة المخارج إلى عدم التتابع في سياق الكلمة العربية، ولاسيما حروف الشفتين، وحروف الحلق، وحروف وسط الفم³⁶.

وقد اختلف علماء البلاغة فيما بعد في توظيف مسألة تباعد مخارج الحروف في فصاحة الكلمة ورتبها، فعلى حين كان الخفاجي قد عدّ تباعد مخارج الحروف شرطاً من شروط الفصاحة ذهب آخرون إلى إخراج المسألة أصلاً من بحث الفصاحة لأنّ الكلام الذي يسلم من استكراه الحروف، وتنافرها هو أكثر ما يجري لدى الناس في كلامهم، ومحاوراتهم، أمّا الاستكراه والتنافر فيعرض في أشياء قد تكون من تكلف الشعراء، أو اصطناع النحارير الذين ربما أدخلوا في الكلام العربي ما ليس منه إرادة للتعنيث واللبس³⁷.

فلم يجعل الرازي تنافر الحروف في شروط فصاحة اللغة، وكان قد أشار إليه إشارة عابرة في حديثه عن تنافر الكلمات، وعده السكاكي - بعده - شرطاً في الفصاحة اللفظية ولم يمثل له، وكانت مسألة تنافر الحروف في بعض الكتب البلاغية الأخرى ماهي إلّا تكرار، وترديد لما جاء عند ابن سنان، وابن الأثير³⁸، أو تكرار للفكرة مع شيء من التفصيل كما صنع القزويني (ت739) الذي أرجع علة تنافر الحروف إلى الثقل على اللسان وعسر النطق، وجعله قسمين: الأول: المتناهي في الثقل كالمعنع، والثاني مادون ذلك كلفظ (مستشزرات)³⁹.

ولاشك أن السبب في تناهي كلمة (المعنع) في الثقل يعود إلى أنّها جمعت ثلاثة من حروف الحلق ممّا لم تعهده العربية، أمّا في (مستشزرات) فهناك من أنكر أن يكون سببه قرب المخارج، وأرجعه إلى مجاورة السين للثاء مع مجاورة الشين للزاي في الكلمة الواحدة ممّا يندر في اللغة العربية.

وذهب بعض الباحثين إلى أنّ حكم البلاغيين بعدم فصاحة (مستشزرات) غير صحيح، وأنّها بجرسها وأصواتها التي تألفت منها تعطي من الدلالات في الإيحاءات ما لا يغني فيها غيرها⁴⁰.

وقد أيّد اللغويون المحدثون العلماء القدماء فيما ذهبوا إليه من أن تقارب مخارج الأصوات مستكره في بنية الكلمة العربية، وأضافوا إلى ذلك أن تأليف الكلمة لا يتعلق بالمخارج فقط بل بالصفات أيضاً.

فقد ذهب إبراهيم أنيس⁴¹ إلى أنّ اللغة العربية تتخذ نهجاً معيناً في تركيب كلماتها، يمكن تلخيصه فيما يأتي:

1. ندرة تلاقي أصوات الحلق بعضها مع بعض.

2. ندرة تلاقي الحروف قريبة المخرج أو الصفة.

أ- تلاقي اللام، والراء، والنون مع بعضها مع بعض لا يكاد يوجد في العربية.

ب- تلاقي الميم والفاء، والباء غير معروف.

ت- ندرة التقاء صوتين من أصوات الصغرى، أو الكثيرة الرخاوة مثل: الزاي، السين، والذال، والثاء، والشين.

ث- ندرة التقاء حرفين من أحرف الإطباق، أو التقاء حرف واحد منهما مع نظيره غير المطبق.

ج- التقاء أصوات أقصى الحنك نادر (القاف، الكاف،...).

ح- التقاء أحرف وسط اللسان نادر أيضاً (الجيم المعطشة مع الشين).

وأكد تمام حسان على ضرورة إدراج الصفات كذلك في تأليف الكلمة في قوله: "إن الأمر في حسن التأليف لا

يتعلق بالمخارج فقط، وإنما يتعدى المخارج إلى الاعتداد بالصفات فكما يتنافر الصوتان بسبب مخرجيهما يتنافران

بسبب الصفتين أيضاً، فثمة صفات تقف الواحدة منها من الأخرى موقفاً عنادياً تناكريباً بحيث لا تتفق الواحدة مع الأخرى في جوار واحد مثال ذلك أن الاستعلاء لا ينسجم مع الاستيفال، ولا ينسجم الإطباق مع الانفتاح، ولا الصغير والتفشي، ولهذا امتنع توالي الجيم والصاد للسبب الأول، فإذا وردت كلمة توالى فيها الجيم والصاد فهي معربة، وكذلك امتنع توالي الجيم والقاف، ولهذا السبب أيضاً وصفت كلمة "مستشزرات" بالتنافر لتجاور الصغير والتفشي، وإن وقعت هذه الكلمة في نطاق ما سميناه الترخص في التأليف⁴².

ومن هذه الدراسة نخلص إلى:

- اعتمد علماء اللغة في الائتلاف و التنافر على استقراء اللغة التي جمعوها من أفواه الفصحاء، فوجدوا أن هناك حروفاً تأتلف و أخرى لا تأتلف .
- الذي عوّله العلماء في تفسير الائتلاف و التنافر بين الحروف هو : مخارج الحروف من حيث التقارب و التباعد، و جل الألفاظ التي استحسناها اللغويون أو البلاغيون على السواء إنما هي من ألفاظ متباعدة المخارج، بل إن كثيراً من اللغويين اشترط ذلك .
- التنافر منزلتان : المتناهي في التنافر و ما دون ذلك، وأصوات الحلق أكثر الأصوات اعتياصاً في التأليف .
- ميل الكثير من الدراسات إلى بيان أثر ركن واحد في الائتلاف، وهو تقارب الصوامت المخرجي. ولم تعن كثيراً بمواضع احتمال ثقل الائتلاف و منهج العربية في التخلص منه من طريق الفصل بين الصوامت الثقيلة بصامت آخر، و تقديم الصامت الأقوى على الأضعف.
- نوافق ابن سنان الخفاجي في رفضه الرأي القائل بأن التنافر يأتي من البعد الشديد بين مخارج الأصوات الذي قال به الرماني .
- والذي ينبغي أن نفهمه مما تقدم أن الكلام عن ظاهرة حسن التأليف إنما يتناول الأصول الثلاثة للكلمة المفردة، أما تأليف الأبنية الرباعية، و الخماسية فتتطبق عليه تقسيمات الثلاثي، زيادة على ضوابط مختلفة توصل إليها الخليل ؛ كضرورة وجود حروف الذلاقة في هذه الأبنية.
- لا يصح تفسير فصاحة الكلمة بتباعد مخارج حروفها، أو تقاربها - مطلقاً ؛ لأن في العربية كلمات كثيرة مؤلفة من حروف متباعدة المخرج مثل أبد، كما أن فيها كلمات أخرى مؤلفة من حروف متقاربة المخرج كلفظة "شجي"؛ فحروفها شجرية تخرج من شجرة الفم لكنها مع ذلك لطيفة في النطق.
- حسن التأليف لا يتعلق بالمخارج فقط و إنما يتعدى المخارج إلى الاعتداد بالصفات، فهناك صفات لا تتجاور الواحدة مع الأخرى مثال ذلك أن الاستعلاء لا ينسجم مع الاستفال ولا ينسجم الإطباق و الانفتاح، و لا الصغير و التفشي هذا ما يؤكد المحدثون .

■ وظّف بعض القدماء الصفات الصوتية في التأليف و الائتلاف، حينما أشاروا إلى الصامت الأقوى، و الأضعف .

هوامش الدراسة :

- ¹ - ينظر: فدوى محمد حسان، أثر الإنسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، عام الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2011، ص: 179
- ² - جاء ترتيب مخارج الأصوات في معجم العين كما يأتي : ع ح ه خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ذ ث / ر ل ن // ف ب م / ي و ا ، و في موضع آخر ذكر الخليل أن الهمزة من أقصى الحلق في قوله : " و أما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رفه عنها لانت .. " . و هذا يدحض ما ذكره بعض المحدثين من أن الخليل لم ينسب الهمزة إلى مخرج معين ينظر خالد محمد المساعفة، ائتلاف الصوامت في بنية الكلمة العربية - دراسة صوتية و صرفية، مجلة الدراسات اللغوية، مج18، ع 2، 2016 السعودية، ص: 149 و 150،
- ³ - ينظر الخليل ابن أحمد، تح مهدي المخزومي و إبراهيم السمرائي، ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1983. العين، ج1، ص: 60 يمثل الخليل على النحت ب: الحيلة التي تشتق من الجمع بين كلمتين : حيّ و على
- ⁴ - المصدر نفسه، و الصفحة نفسها
- ⁵ - المصدر نفسه، ج1، ص: 57
- ⁶ - المصدر نفسه، ج1، ص: 61
- ⁷ - -- ينظر المصدر نفسه،
- ⁸ - ينظر عبد الغفار حامد هلال، النظريات النسقية في أبنية العربية دراسة في عالم التشكيل الصوتي، دار الكتاب الحديث، ط1، القاهرة، 2008، ص: 08
- ⁹ - ابن دريد، جوهرة اللغة، دار صادر، بيروت، ج1، ص: 09 .
- ¹⁰ - المصدر السابق، و الصفحة نفسها.
- ¹¹ - أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، ط2، دمشق (سوريا)، 1999م، ص: 124 .
- ¹² - ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح محمد حسن محمد حسن إسماعيل و أحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت - لبنان، 2007، ج1، ص: 18 .
- ¹³ - ينظر المصدر السابق، ج1، ص: 79 .
- ¹⁴ - ينظر المصدر السابق، ج2، ص: 427 و 428
- ¹⁵ - المصدر نفسه، ج2، ص: 429 .
- ¹⁶ - ابن جني، الخصائص، تح محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، ج1، ص: 54
- ¹⁷ - ينظر ابن جني، سر الصناعة، ج2، ص: 430، أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص: 124 و محمد كرم الكواز، الفصاحة في العربية، ص: 180.
- ¹⁸ - ينظر ابن جني، سر الصناعة، ج2، ص: 431 .
- ¹⁹ - ينظر أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص: 130.
- ²⁰ - ينظر: ابن جني، سر الصناعة، ومبادئ اللسانيات، محمد قدور: 130 والنظريات النسقية في أبنية العربية، عبد الغفار حامد هلال: 09.
- ²¹ - ينظر عبد الغفار حامد هلال، النظريات النسقية في أبنية العربية، ص: 09.
- ²² - ابن جني، الخصائص، ج1، ص: 54 .
- ²³ - أرل بضم الهمزة والراء - جبل بأرض غطفان، وفي نسخة أخرى (ورل) بضم الواو والراء وهو حيوان كالضب، ينظر: المرجع السابق ص: 10. 23
- ²⁴ - المصدر السابق، ج1، ص: 54 و 55 .
- ²⁵ - ابن جني، سر الصناعة، ج2، ص: 429 . 25
- ²⁶ - ابن جني، الخصائص، ج1، ص: 55 .
- ²⁷ - ابن أبي الحديد، الفلك الدائر على المثل السائر، تح أحمد الحوفي و بدوي طبانة، منشورات دار الرفاعي، ط 2، الرياض، 1984، ص: 86
- ²⁸ - ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية ط1، بيروت - لبنان، 1982، ص: 64
- ²⁹ - ينظر الروماني، النكت ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح محمد خلف الله، و محمد زغلول سلام، دار المعارف، ط3، مصر، د ت.، ص: 96
- ³⁰ - ينظر محمد كرم الكواز، الفصاحة في العربية، ص: 179 .

- ³¹ - سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي: 66.
- ³² - ابن منظور، لسان العرب، ي: 26/1-27، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي، ط2، بيروت، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، 1997.
- ³³ - ينظر فدوى محمد حسان، أثر الإنسام الصوتي في البنية اللغوية العربية في القرآن الكريم، ص: 90 .
- ³⁴ - ينظر السيوطي، المزهري في علوم العربية، تح فؤاد علي منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1998، ج1، ص: 156 و157 .
- ³⁵ - ينظر: مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور: 126.
- ³⁶ - من هذه الدراسات: علي حلمي موسى، إحصائيات جذور معجم لسان العرب باستخدام الكمبيوتر، وعلي حلمي موسى، وعبد الصابور شاهين، دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس باستخدام الكمبيوتر، ينظر محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص: 126.
- ³⁷ - ينظر المرجع نفسه، ص: 123 و124.
- ³⁸ - ينظر محمد كريم الكواز، الفصاحة في العربية، ص: 180 و181.
- ³⁹ - ينظر القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت-لبنان، 2003م، ص: 13
- ⁴⁰ - ينظر محمد كريم الكواز، الفصاحة في العربية، ص: 181. +++
- ⁴¹ - ينظر إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، القاهرة، ص: 30 .
- ⁴² - ينظر تمام حسان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، ط2، القاهرة، 2000م، ج1، ص: 223 .